الدكتور أبو القاسم سعد الله

الأندلس : ذكرى وعبرة

كانت الأندلس للعرب والمسلمين رمزا للقوة والضعف معا، كانت قوة العرب والمسلمين في المغرب كما كانت بغداد في المشرق، ولكن بغداد سقطت في القرن 13م وظلت غرناطة تقاوم إلى القرن 15م. منارتان عظيمتا الاشعاع، إنطفأت بغداد فضاءت إسطنبول غير بعيد عنها وإنطفأت غرناطة فعوضتها الجزائر غير بعيد عنها أيضا وإذا كانت إسطنبول والجزائر قد أصبحتا مركزين جهاديين فإنهما لم تصبحا مركزين للعلوم والفنون والآداب، فلا إسطنبول عوضت بغداد في الفلسفة والرياضيات ولا الجزائر عوضت غرناطة في الشعر والموسيقى، لقد كان البحر هو المجال المشترك للجهاد في عصر الغروب العلمي لدى العرب والمسلمين.

ولكن البحر لم يبق حكرا على الأسطول الاسلامي في عصر الغروب العلمي، فالأساطيل الأوربية أخذت تجوب البحار والمحيطات حتى وصلت إلى أطراف الدنيا، وكانت الكشوفات والمغامرات والتنافس بين الأفراد والممالك قد جعلت أوروبا تخرج عن مجالها الجغرافي التقليدي الضيق لتبحث عن مجالات أخرى لاتغرب عنها الشمس. وفي هذا النطاق كانت رحلة كريستوفر كولومبس سنة 1492. ورغم أن إنجازه كان لخدمة العرش الاسباني، فإنه في الحقيقة كان إنجازا لخدمة العروش الأوربية كلها، ثم لفتح أبواب العالم الجديد الذى أصبح يدعى أمريكا.

منذ سقوط غرناطة إذن والعالم العربي والاسلامي في تراجع، ومن ثمة تصبح الأندلس رمزا للضعف لا للقوة فعهد ملوك الطوائف والترف الاجتماعي والفساد الأخلاقي وغياب الوعي بالتاريخ والمسؤولية الحضارية، كلها من علامات الضعف الذى نعنيه، ذلك أن ضياع الأندلس له أسباب معروفة عند جميع طلبة التاريخ.

وذكرى ذلك الضياع هي التي تدعونا اليوم للوقوف والتأمل، فنحن لاندري هل سرق العالم منا كولومبس أو كولومبس هو الذى سرق منا العالم، من هو هذا البحار الجريء الغامض لقد نشأ في وسطنا وقرأ كتبنا وجند بحارتنا وخرائطنا ثم سافر إلى المجهول، ورغم أنه كان يحمل الصليب ويمارس الرق ويجمع الغنائم لملك الأندلس (إسبانيا)، فإنه قد يكون رجلا منا وقد يكون العالم الذى أرست فيه سفنه هو عالمنا نحن لو وجد كولومبس رجالا من أمثال عقبة بن نافع وموسى بن نصير وطارق بن زياد وقد ظل كولومبس مجهولا حتى في أمريكا التي اكتشفها، ولم تعبأ به أوربا التي نشر خريطتها والتي كانت تنافس ملوك الأندلس (إسبانيا) ولم تحتفل أمريكا به إلا بعد ثلاثة قرون من مغامرته، وحتى بعد خمسة قرون (العالم الماضي) كانت شعوب أمريكا الجنوبية تعتبر كولومبس الرجل الذى اعتدى على السكان الأصليين وفتح طريق العبيد على إفريقيا ونعود إلى السؤال السابق : هل سرقه منا العالم أو سرق هو العالم منا ؟

إن هناك علاقة رمزية وجدلية بين سقوط غرناطة ورحلة كولومبس كلاهما حدث في سنة واحدة وعشية إحتفال العالم الأروبي والأمريكي بالذكرى الخمسمائة لرحلة كولومبس، جرى في الأندلس (إسبانيا) الاحتفال بافتتاح ماسمي بمؤتمر السلام في الشرق الأوسط وتقرير

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional